ضائقا بالوحدة والخواء ، تعتلج فى نفسه أشجان لا تستبين له ، فعالجت أمره « حواء » ، وأدركت ما بنفسه من نزوع ، ومن ثم سعت سعيها حتى كسبت قلبه ، وضمنت حبه ، فأقامته على ظهر الأرض أبا للبشر ! وصاحب حجر الأساس فى صرح العمران ! ...

على عاتق المرأة تقوم مهمة توثيق الألفة واتصالها بينها وبين الرجل ، ذلك عملها فى الحياة ، وهو دائرة اختصاصها الذى خلقت له . فإذا انفصمت عروة الألفة بين رجل وامرأة ، فلا يخالجنك ريب فى أن المرأة هى العلة ، وعليها التبعة ... فإن كانت فى هذه السبيل بريئة لم تجن ذنباً عن قصد ، ولم تسع إلى فُرْقة على عمد ، فلا أقل من أنها ليست بالذكية ولا بالفطنة ، تدرك مهمتها حق الإدراك وتعالج أمرها على أحسن وجه ، وتستخدم مواهبها الأصيلة فى امتلاك الرجل والاحتفاظ به .

لا يقع فى اختصاص الرجل امتلاك المرأة والاحتفاظ بها ، وإن بدا ذلك منه فى ظاهر الأمر ، فللرجل من شواغل العيش ، ومطامح الحياة ، صارف له عن تلك الغاية ... فى أعماق نفس الرجل أنه خلق لتحقيق مثل بعيدة المدى فى هذا المجتمع الذى يعيش فيه ، فهو — فى تقدير نفسه لنفسه — زعيم الحياة ، يناضل فيها ، ويكافح لها ، ويسمو بها نحو الكمال ! ... ولذلك لا يقيس الرجل